**جامعة عبد الرحمان ميرةـ بجاية.**

**قسم اللغة والادب العربي**

**دروس في مقياس: الشعرية العربية**

**المستوى: السنة الثانية أدب ليسانس**

**الأستاذة: قوادي**

**ـ مفهوم الأدبية في النقد الادبي حت القرن الرابع الهجري.**

**ـ مفاهيم الشعرية العربية القديمة.**

**ـ مفهوم الشعر.**

**ـ وظيفة الشعر.**

**ـ اللفظ والمعنى.**

**ـ نظرية النظم.**

**الحصة الأولى: مفهوم الأدبية في النقد الادبي حتى القرن (4هـ).**

**تمهيد:** يعتبر القرن الرابع الهجري قرن النضج والعطاء والارتقاء بالحياة الأدبية وهو عهد الحكام، حيث تطورت فيه الحياة الأدبية والحركة العلمية والنقدية تطورا وازدهارا لم تعرفه من قبل وهذا التطور راجع لعدة أسباب:

1/ ما لقيه أهل الفكر والادب من رؤية وتشجيع من الامراء والسلاطين وبث روح التنافس بين تلك الفئة (اهل الفكر والادب).

2/ خصصت مراكز متعددة وهي منارات ينهل منها أصحابها كل بحسب توجهه ومذهبه.

النقد في القرن (4هـ):

تطور الادب في هذا القرن وازدهر كما تطورت الحركة النقدية على يد نقاد ولغويين اشتغلوا بالنص الادبي دراسة وتحليلا وتفحصا، وتوصلوا إلى ما توصلوا إليه في نقد الشعر، بحثوا في شعر الشعراء عن:

ـ مواطن الاجادة.

ـ والقوة والجمال الفني.

ـ كما اهتموا بلغة الادب اهتماما بالغا، وذلك من أجل معرفة اسرار وحقائق اللغة لحماية النص القرآني والمحافظة على التراث الشعري والأصول الفنية له مثلما كان في القديم.

فالنقاد العرب القدامى في هذا القرن والذي يعتبر امتداد لما قبله في تطور الحركة النقدية والأدبية حيث دققوا في دراستهم وبحثهم كما ينبغي للشاعر وغيره أخذه من أجل أن يصقل شعره بالقبول والتميز، وأن يجد مكانه بين منافسيه ويتسم شعره بالفحولة والجودة.

وهناك من النقاد من أرجع سر الجودة والتمكن في الشعر ومدى قبوله لدى الآخر راجع إلى:

ـ عوامل خارجية عن النص الشعري أسهمت في نبوغه وفحولته واجادته وفي تلقي شعره بالقبول.

ـ فدرسوا لأجل ذلك مسائل لها علاقة بالشاعر ومنتج القصيدة.

ـ كما سلطوا الضوء على ثقافة ووظيفة المفكر (الشاعر) في قبيلته وكيف أن للعامل النفسي دور في ذلك وما للطبع والتصنع والموهبة وسعة الرواية في تشكل نتاج شعري جيد

1

أم لا؟ وذلك بحسب خطة من كل ذلك وما لشيطان الشعر دور في فحولته واختلافهم في كل تلك المسائل من رؤى نقدية أمر لا مفر منه.

وهناك مجموعة من النقاد اهتموا أو ركزوا في دراسة ما هو داخل النص المنتج وما فيه من أسرار التميز والأدبية.

حاولوا الكشف عنها فدرسوا بالتحليل والشرح والتعليل مسألة اللغة

ـ وضوحا وتعقيدا.

ـ والصور الشعرية الاخيلة جدة وتقليدا.

ـ ومسألة التأثير والتأثر بين النصوص الشعرية وعلاقة ذلك بالاستحسان والاجادة.

ـ درسوا مسألة اللفظ والمعنى واختلافهم في ذلك (هل المزية للفظ دون المعنى أم للمعنى دون اللفظ أم هما معا في تشكيل أدبية النص الشعري من عدمه؟

تطور النقد:

تطور النقد في هذا القرن (4هـ) إلى أن أصبح موجه ليس لبيت أو بيتين فقط لشاعر واحد، وإنما توسع إلى المقاربة والمفاضلة بين شاعرين فخرجوا بذلك عن النظرة الجزئية التي كانت تحكم النقد وتسيطر عليه قبل هذا التوجه النقدي الجديد.

اتسم النقد بالشمولية والدقة والتعليل والموضوعية فظهرت الموازنات والمفاضلات بين الشعراء والصراعات الفنية بينهم وبين أتباع وأنصار القديم وأتباع وأنصار الجديد.

ومن القضايا النقدية التي تطرق إليها النقاد العرب القدماء:

قضية الدين والأخلاق: وعلاقته بالشعر وجودته وتأثيره في الشاعر قوة وضعفا وجودة ورداءة.

ومن هؤلاء النقاد قدامة بن جعفر (ت 337هـ): يرى " أن الشعر بمنأى عن الدين والأخلاق، وأن للشاعر أن يغترف من المعاني ما شاء حميدة كانت أو مذمومة، لطالما يتوخى الوصول إلى الغاية".

ومن الجودة في ذلك حيث يقول قدامة بن جعفر:" وما يحب توطيده وتقديمه... أن المعاني كلها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها فيما أحب وأثر من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني للشاعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة...".

2

**الحصة الثانية: مفاهيم الشعرية العربية القديمة.**

كلنا نعلم ان اللغات الطبيعية تؤدي وظائف لغوية متعددة وذلك حسب العنصر الوظيفي المميز فيها مثلا:

الوظيفة التأثيرية: تظهر في النصوص الخطابية مثل خطبة الجمعة وخطبة الوداع للرسول الله صلى الله عليه وسلم.

الوظيفة المرجعية: تظهر في النصوص التاريخية، لانها في صدد اظهار مرجعيات أو تواريخ نعود إليها من أجل الكشف عن حقيقة زمنية غابرة.

الوظيفة الشعرية: وهذه الأخيرة نجدها بكثرة في النصوص الشعرية، والتي تعبر عن أحاسيس الكاتب ووجدانه، حيث أن وظيفة اللغة الشعرية هي تصوير الوجدان الذي يفيض من العاطفة المتأججة للشاعر فتمثل هي أيضا متأججة ذات عنفوان جائش.

وينبه رومان جاكبسون إلى أن: هذه الوظيفة الشعرية يجب التماسها في أشكال الرسالة اللفظية المختلفة، وأنها لا تقتصر على الشعر لوحده، وتقوم هذه الوظيفة بابراز قيمة الكلمات والاصوات واعطائها قيمة مستقلة.

فالوظيفة الشعرية هي: السمة التي تزين النص الادبي وتوضع الفروق بين النصوص من حيث القيم الجمالية فيها.

**الشعرية في النقد الغربي: (في التراث الغربي).**

**1/ عند أرسطو:**

يعتبر كتاب "فن الشعر" عند أرسطو من أهم الكتب النقدية في مجال الشعرية.

وكان لهذا الكتاب الأثر البالغ على الدارسين من بعده.

وكتاب "فن الشعر" يطرح العديد من الأفكار والنظريات التي تتعلق بالشعر، حيث يرى أن الشعر عبارة عن محاكاة حين قال:" شعر ملحمة ومأساة وملهاة ...وكذلك موسيقى الشبابة والقيثارة في أكثر خصائصها"، كل هذه حسبه تعد أنواع من المحاكاة.

يقوم الشاعر بتصوير الواقع أو الأشياء الجميلة للواقع في قالب شعري بلغة تثير النفوس والعواطف.

وبالتالي فإن مفهوم المحاكاة تمثيل أفعال الناس ما بين (خيرة وشريرة)، بحيث تكون مرتبة الأجزاء على نحو بعضها، والشعر الحق عند أرسطو يتمثل في المأساة والملحمة والملهاة.

3

وبالتالي الشاعر عند أرسطو يقوم بإعادة رسم الواقع بأسلوبه ولذلك" المحاكاة هنا تستدعي براعة الفنان وابداعيته أو شاعريته، لأنه يقرر الحقيقة، وإنما يتخيل ليقول ما هو غير كائن في الواقع".

ومن هنا فان الشاعر يرسم الواقع كما يجب ان يكون عليه، فيقدم القارئ متعة فنية وخلال هذا يقوم الشاعر أو الكاتب بما يسمى بعملية التطهير".

ملاحظة: الشاعر لا ينقل الواقع كما هو بل يسعى إلى خلق عالم أفضل أجمل من الواقع المعاش، يقول أرسطو:" يجب أن نسلك طريقة الرسامين المهرة الذين إذا إذا أرادوا تصوير الأصل رسموا أشكالا أجمل وإن كانت تشابه الصور الاصلية، كذلك الحال في الشاعر إذا حاكى أناسا شرسين أو جبناء أو فيهم نقيضة من هذا النوع في أخلاقه فيجب عليه أن يجعل منهم أمجادا ممتازين".

فالمحاكاة عند أرسطو: تختلف باختلاف الفنون: فهي في الرسم مغايرة لما هي عليه في النقش والموسيقى أو الشعر، فالمحاكاة تشمل جميع الفنون الجميلة وكل الأشياء الموجودة في العالم الواقعي وبواسطة المحاكاة يتم الانسان النقص الموجود في الواقع الحسي.

ومن هنا فان فكر أرسطو قائم على مبدأ المحاكاة والشعرية التي جاء بها أوسع وأعم من الشعرية الحديثة المقتصرة على الشعر والادب، لان فكرة المحاكاة هي قطب الرحى في تحليل أرسو، والابداع عنده ليس في الشعر وحده وانما في جوهر الفنون كافة.

ومن هنا فان هذه المصطلح الشعرية الحديثة اخذت حيزا محدودا، أقل مما كانت تشير عليه اللفظة من قبل.

وكتاب ارسطو "فن الشعر" يعد المحاولة الأولى للتنظير للأدب، والقاعدة التي أعطت استقلالا وحدودا للنص الادبي، والادب هو الجزء من العملية الإبداعية للإنسان.

**الشعرية عند الغربيين المحدثين:**

**1/ عند رومان جاكبسون:**

رؤية رومان للشعرية كانت متأثرة باللسانيات، كانت تبحث عن الخصائص التي يتميز بها الخطاب الادبي، فهي تتعلق بمسائل ذات بنية لغوية مثل: تحليل الرسم يهتم بالبيانات التصويرية.

فان الالسنية هي العلم العام الشامل للبنيات اللغوية وبالتالي فان الشعرية كان بالإمكان اعتبارها جزءا لا يتجزأ من الالسنية.

وهنا جاكبسون يتساءل عن الشيء الذي يجعل من الرسالة كلامية عملا فنيا، يبحث في

4

الأدبية، والسمات التي تميز الادب، فالشعرية جزء من اللسانيات غايتها معالجة الوظيفة الشعرية والبحث في علاقتها بالوظائف الأخرى.

خص جاكبسون بموضوع الشعرية مقالا بعنوان "ما الشعر؟ الذي يقول فيه: "**أن محتوى مفهوم الشعر غير ثابت وهو يتغير مع الزمن، إلا أن الوظيفة الشعرية عنصر فريد لا يمكن اختزاله بشكل ميكانيكي إلى عناصر أخرى..."**

وهنا فإن هذا القول بأن الشعر لا يبقى دائما ضيق الأطر، محدود الأفق تهيكله عناصر ثابتة، بل على العكس من ذلك هو دائم التغيير والتحول بدليل ما كانت عليه الشعرية القديمة، وما وصلت إليه الشعرية الحديثة من تجاوز لبعض الخصائص التي اتصف بها.

أما الوظيفة الشعرية عند (جاكبسون): فهي اللبنة الأساسية التي يقوم عليها النص الادبي ولا ينبغي تجاوزها ومن العناصر الجمالية التي تحقق للنص الإبداعي شعريته عند جاكبسون:

**فاعلية اللغة، جمالية الغموض، مقارنة القافية، واللغة الشعرية.**

نجده يركز فيما يخص اللغة الشعرية على خلوها من الشوائب التي يمكن أن تتسبب في إعاقة مسار الشعرية.

حيث نجده يرى أن كل" بحث في مجال الشعرية يفترض معرفة أولوية بالدراسة العلمية للغة، ذلك لان الشعر فن لفظي، فهو يستلزم قبل كل شيء استعمالا خاصا للغة، فالتحكم في اللغة يعني ملامسة الشعرية في جوهرها.

قام جاكبسون بوضع مخطط للعملية الاتصالية:

وهي تتكون حسب رأيه من ستة عناصر أساسية هي:

العملية الاتصالية (جاكبسون):

المرسل ــــ المرسل اليه ـــــ الرسالة ـــــ الشفرة ـــــ القناة ـــــ المرجع.

ولكل عنصر منها له وظيفة معينة ينتجها وبالتالي هناك ستة وظائف لغوية مقابل ستة عناصر.

**عناصر العملية الاتصالية ووظائفها اللغوية:**

1 المرسل ــــــ الانفعالية

2 المرسل اليه ـــــ التأثيرية

3 الرسالة ـــــــــــ الشعرية

5

4 القناة ــــــــــــــ الانتباهية

5 المرجع ــــــــــــ المرجعية

6 الشفرة ــــــــــــ الميثالغوية.

**الحصة الثالثة: مفهوم الشعر**

**مفهوم الشعر ما قبل الإسلام:**

يرجع اهتمام العرب بالشعر الى ما قبل الإسلام، فالعرب يفتخرون بلغتهم ويتناقلون الشعر شفاهيا كون العرب امة بيان وفصاحة، حيث اقاموا الأسواق للتحكيم فيها بين الشعراء والمفاضلة بينهم.

لقد ادرك العرب دور الشعر واحسوا بتأثيره، مما جعلهم يتخذونه سلاحا يدافعون به عن انفسهم وعن قبائلهم فالقبيلة حسب " ابن رشد المسيلي" :" **اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها و صنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزامير كما يصنعن في الاعراس ويتباشر الرجال والوالدان لأنه حماية لأعراضهم ... وكانوا لا يهنؤون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ فيهم".**

**اما بمجيء الإسلام:** نال الشعر درجة عالية من التقدير خاصة في ظل عملية التعريب والترجمة يجمع خلفياتها اللغوية والثقافية**.**

فمع بداية عصر التدوين وجمع القرآن، أعتبر الشعر رافدا قويا ومهما في شرح القرآن وتفسيره وفهمه حيث كانوا يرجعون إليه لفهم معاني القرآن وشرح غريب ألفاظه، وفي ذلك يقول إبن عباس: **إذا قرأتم شيئا عن كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب وكان إذا سئل عن القرآن أنشد الشعر".**

**بعض المفاهيم للشعر:**

**إبن قتيبة: (ت** 267هـ**)** الشعر هو في قوله:

**" الشعر علم العرب... وديوان أخبارها ومستودع أيامها والسور المضروب على مآثرها، والخندق المحجور على مفاخرها والشاهد العدل يوم النفار والحجة القاطعة عند الخصام ومن لم يقدم عنده على شرفة وما يدعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميدة بيت منه شذت مساعيه وإن كانت مشهورة ودرست على مرور الأيام وان كانت جساما ومن قيدها بقوافي الشعر واوثقها بأوزانه واشهرها بالبيت النادر و المثل السائر**

**6**

**والمعنى اللطيف، أخلدها الدهر وأخلصها من الجحد ودفع عنها كيد العدو وغض عين الحسود".**

فهنا ابن قتيبة لم يضع مفهوما عاما لشعر، حيث لم يضمن الشعر العربي كله في تعريف فقوله معدن العرب لان فيه تاريخهم واعانيهم أي أن الشعر كان أفضل العلوم العربية ومصدرها الأصيل.

**اراء النقاد:**

يرى بعض النقاد أن الشعر صناعة من مثل:

ـابن سلام الجمحي، ابن رشيق القيرواني، وأبو هلال العسكري، حازم القرطجني.

يقول **ابن سلام الجمحي: "للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلوم والصناعات منها ما يثقفه العين ومنها ما يثقفه الاذن ومنها ما يثقفه اليد ومنها ما تثقفه اللسان".**

كذلك **الجاحظ** وصفها بالصناعة حيث قال:**"** **انما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"**

فهو يرى ان الشعر صناعة وجنس من التصوير والمعاني مطروحة في الطريق، وتكون الشعرية عنده بإقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج.

وبالتالي الشعرية عند الجاحظ تكون بإقامة الوزن وتخيير اللفظ وكثرة الماء وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك، وهناك الكثير من النقاد اللذين لم نتطرق إليهم أمثال: "قدامة بن جعفر والذي يركز على الوزن والقافية" حيث يقول عن الشعر:" انه كلام موزون مقفى دال على معنى".

كما عرفه ابن سينا:" كلام مخيل مؤلف من اقوال متساوية مقفاه".

اما السيوطي فعرفه هو الآخر: "**الشعر ديوان العرب به حفظت الانساب وعرفت المآثر ومنه تعلمت اللغة، وهو حجة فيها اشكال من غريب القرآن وغريب حديث رسول الله وحديث صحابته والتابعين..."**

**اما فيما يخص الشعر عند عبد القاهر الجرجاني فله فيه رأي، عندما عرف الشعر او عندما أعطاه مفهوم فانه ربطه بمفهوم النظم، وذلك من خلال مقارنته بالرسم والصياغة والبناء" ولذلك كان عندهم نظير للنسيج والتأليف والصياغة والبناء وما اشبه ذلك".**

**7**

**الحصة الرابعة: وظيفة الشعر.**

**تمهيد:** باعتباره نشاط انساني لا بد له من وظيفة يؤديها ومن دور يقوم به في الحياة على مختلف اصعدتها، لان النقاد يرون ان الوظيفة تتعدد بتعدد ظروف الحياة من اجتماعية وسياسية وفكرية وحضارية، ولها يمكن ان تعتبر وظيفة الشعر طرفا أساسيا في العملية الشعرية، أي هي ظاهرة ملازمة للعملية الإبداعية والتي نقصد بها (الوظيفة) طبيعة العلاقات التي يتصورها النقاد القدماء بين النص الشعري ومتلقيه.

فكلمة الوظيفة على الرغم من أنها مصطلح حديث إلا أن مضمونه قديم، لان النقاد العرب القدامى وأصحاب المعاجم قد تنبهوا إلى هذه الكلمة في الكثير من كتاباتهم ومن هنا يرى هؤلاء النقاد أن وظيفة الشعر في الجاهلية هي:

ـ وظيفة تمثل المنحى الخلقي النفعي.

ـ إلى جانب ذكرهم أن الشعر نشاط حيوي فعال وطاقة خيرة مؤثرة.

ـ والشعر كان بمثابة الوسيلة الإعلامية التي يعتمد عليها المجتمع في الجاهلية فالشاعر كانت له مكانة سامية في هذا المجتمع.

ـ كما هو معروف عن الشاعر أنه يدافع عن قبيلته فهو في خدمة هذا المجتمع الصغير، وإلى هذه الصلة الاجتماعية يرجع ذلك الفرح العظيم بالشاعر حين ينبغ في قبيلته.

**وظائف الشعر:**

**1/ الدفاع به عن القبيلة:** بالقول المؤثر فكأنه محامي أو صحفي هذا الزمان.

ـ يمجد قبيلته ويشيد بمآثرها وأعمالها ويصور قوتها ويهاجم المعادين لها، فكان في خدمة قبيلته بـ لسانه وسيفه لذلك فإن النقاد اهتموا بتحديد وظيفة الشعر.

حيث أصبحت هذه القضية مظهرا وظيفيا في تنظيرهم للشعر فقد تحدثوا عن وظيفة الشعر في سياق تقديمهم لمكانة الشعر ومهمته في التعبير عن قضايا الجماعة.

**2/ حفظ المعارف والعلوم:** ومن النقاد الذين اهتموا بهذه القضية "**ابن طباطبا العلوي**"

والذي يرى أن وظيفة الشعر تكمن في حفظ المعارف والعلوم "واعلم ان العرب اودعت اشعارها من الاوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها وأدركته عيانها..."

فالشعر حسب ابن طباطبا يمكن أن يمد المتلقي بمعارف واضحة عن هذا العصر، فكل شيء في البيئة المحيطة بالشاعر هي مجال له.

ومن فان ابن قتيبة يرى أن وظيفة الشعر تتجلى في حفظه لعلوم العرب وتاريخها وكذلك يعتبر سجلا لأحداث الحياة وتراث الماضي بصورة واقعية".

8

فهو ديوان للأدب والانساب وحافظ للمآثر الكريمة والمغافر الحميدة والخصال المستحبة لان رواية الشعر تذكر الناس بهؤلاء الامجاد وتخلد عظيمهم على مر الأيام والعصور وبالتالي فان الشعر هو المادة الوحيدة التي يلجأ إليها الباحث لمعرفة الزمن القديم ومادته الثقافية فهو أفضل وسيلة لذلك.

**3/ مصدر الحكمة:** والشعر عند ابن طباطبا العلوي يبعث النفس على الراحة القلبية نتيجة تضمنه للحكمة الصادقة في فكرته المنبعثة من تجربة واقعية.

والعرب قد أودعت أشعارها الحكمة " لان الحكمة غذاء الروح، فأنجع الأغذية وألطفها".

**4/ وظيفة أخلاقية:** فالشعر يعرفنا على نوعية الاخلاق السائدة في المجتمع، فالشعر القديم عرفنا علة الاخلاق المحمودة التي كانت العرب تحبذها مثل الكرم والشجاعة والحلم، والعفو، والإحسان، وأصالة الرأي...إلخ"

كما أطلعنا على الاخلاق المذمومة التي لا يحبذها العرب قديما كالبخل والجبن والجهل والغدر والخيانة، والكذب فالشعر حسب رأي ابن طباطبا يبين لنا عادات القدامى واخلاقهم.

والشعر أيضا حسب رأيه له وظيفة أخلاقية تتمثل في تغيير الاخلاق المدمومة وتحويلها إلى أخلاق محمودة وفي ذلك يقول:" **ورد عليك الشعر اللطيف المعنى الحلو اللفظ التام البيان، المعتدل الوزن مازح الروح ولاءم الفهم، وكان أنفذ من نفث السحر... وأشد اطرابا من الغناء... وحلل العقد، وسخي الشحيح وشجع الجبان".**

وبالتالي فان الشعر لشدة تأثيره على النفوس يمكن أن يغير الاخلاق الذميمة إلى أخلاق محمودة ولكن ذلك لا يتم إلا بالامتزاج الروحي بين الشعر ومتلقيه، والملاءمة العقلية بينهما عندئذ ينتج التغيير الأخلاقي لدى المتلقي تلقائيا.

9

**الحصة الخامسة: قضية اللفظ والمعنى**.

**تمهيد:**

تعد قضية الفظ والمعنى من القضايا الكبيرة التي شغلت النقاد القدماء.

اعتبرت من أهم القضايا حيث اختلفت وجهات النظر حولها، منهم من يرد بأنها من اهم مقومات العمل الادبي، وأقوى دعائم نجاحه على المعنى مقللا من شأن اللفظ، ومنهم من يردها إلى اللفظ ومنهم من يسوي بينهما والمحفز لهذا الجدال هو الاعجاز القرآني وارتباط الفكر النقدي والبلاغي بمضامينها بوصفه عربيا إسلاميا.

فكان النزاع محتمدا في أي منهما يكمن الاعجاز:

ـ في اللفظ وتأليفه.

ـ أو في المعنى ودلالته.

ـ او بهما معا.

ـ او بالعلاقة المتولدة عنها.

كما عرفت هذه القضية عند اليونان قديما، فقد كانت نظرية (المثل) الافلاطون من مظاهر هذه القضية.

يرى أفلاطون أن للأشياء المتغيرة أصولا ثابتة كاملة في عالم المثل.

كما عرفت في التراث النقدي والبلاغي وذلك لدى:

**الجاحظ:**

هو على رأس النقاد الذين احتفوا بالألفاظ.

يرى الجاحظ على "أبي عمرو الشيباني" الذي يقدم المعنى فيقول:" وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني وانما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ. وسهولة المخرج وكثرة الماء. وفي صحة الطبع؟ وجودة السبك فإما الشعر صياغة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير."

والامر هنا واضح حيث أن الجاحظ ينتصر للفظ على المعنى ويجعل للفظ شأن في الشعر.

وكما هو معروف بأن الجاحظ من المعتزلة وهم يهتمون بالمعاني على حساب الالفاظ ، وهنا المعاني العقلية المنطقية التي تعينهم على أداء مقالاتهم والبرهنة على حججهم ومن ثم

10

اقناع خصومهم وللإجابة عن هذا التساؤل نقول:" لا ريب في أن الجاحظ فهم المعنى كما فهمه المعتزلة وهو المعنى العقلي المنطقي يصنع شعرا، فكأنه قال لا بد من أن يكون الشعر في العنصر الآخر وهو اللفظ.

واللفظ عنده لا يعني أصوات الحروف فقط وانما يعني المعنى الشعري الذي يقابل المعنى العقلي."

**ابن قتيبة (276هـ):**

كان يفصل فصلا حاسما بين **اللفظ والمعن،** وهو الذي يرى مجيء المعنى الحسن في اللفظ الرديء، وقد قسم الشعر الى أربعة اضرب:

**1/ ضرب حسن لفظه وجاد معناه.**

**2/ ضرب حسن لفظه وقصر معناه.**

**3/ ضرب جاد معناه وقصر لفظه.**

**4/ ضرب قصر فيه اللفظ والمعنى.**

وهذه قسمة عقلية منطقية استوفى فيها ابن قتيبة جميع الممكنات، كما أن بيئة الفقهاء قد أثرت فيه فجعلته يريد من المعنى أن يكون حكمة أو قولا صالحا ينتفع به الناس ويتضح ذلك من خلال الأمثلة التي اختارها للضرب الثالث، الضرب الذي جاد معناه وقصر لفظه.

**أيتها النفس أجملي جزعا إن الذي تجزعين قد وقعا.**

**قدامة بن جعفر:**

هو الآخر وقف عند هذه القضية (اللفظ **والمعنى**) وفصل بينهما منذ أن عرف الشعر بأنه:" **قول موزون مقفى يدل على معنى ".**

وكذلك منذ أن قال:" **المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة".**

وهذا ما جاء به ارسطو والذي يتبين أثره فيما جاء به قدامة بن جعفر. كان ارسطو يرى ان الموجودات تتألف من عنصرين: هيولي أو المادة والعنصر الثاني هو الصورة التي تمنح المادة شكلها.

غير أن "قدامة بن جعفر" الذي فصل بين اللفظ والمعنى لم يعتنق هذه الفكرة الأرسطية من أجل التوحيد بين اللفظ والمعنى أي أنه أراد أن يقول:" إن المعاني معروضة للناس،

11

وإنما الفضل لمن يمنح هذه المعاني الصورة التي تصير بها شعرا".

**الجرجاني عبد القاهر:**

جاء بعد أصحاب هذه المذاهب جميعا واستفاض كلامهم فيها وجدلهم حولها، فاجتمعت لديه آراؤهم واستفاد من خبرتهم، لكنه تجاوزهم الي رأي خاص كما كانت له في هذا المجال أصالة وتعمق، كما يعتبر الجرجاني صاحب مدرسة في النقد حيث أدرك فيها ما لم يدرك النقاد السابقون.

وهذا ما قاله باختصار في هذه القضية " اللفظ والمعنى".

اللفظ رمز لمعناه: وهو في هذا يتلاقى مع جميع النقاد القدامى والمحدثين وهذا ما ذهبت إليه المدرسة الرمزية في اللغة، حيث أن الكلمة رمز للفكرة أو التجربة أو العاطفة أو المعنى وقيمة الكلمة فيها ترمز إليه وليست قيمتها في البلاغة وحدها (الكلمة).

العلاقات الاسلوبية بين الالفاظ هي في رأيه موطن البلاغة وهي ما عبر عنه بالنظم وما يعبر عنه النقاد بالشكل والصورة.

**الحصة السادسة: نظرية النظم.**

**مفهوم نظرية النظم:**

**النظم لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور مادة (ن ظ م ) النظم، التأليف نظمه نظما ونظاما ونظمه فانتظم وتنظم ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك والتنظيم مثله ومنه نظمت الشعر ونظمته ونظم الامر على المثل وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته.

والنظم: ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرها، ونظام كل أمر والجمع أنظمة وأناظيم ونظم والانتظام الاتساق.

**النظم اصطلاحا:** جاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب " **النظم هو التأليف الشعري عامة الذي يلتزم قواعد متواضع عليها من حيث الوزن خاصة والعروض عامة".**

**مفهوم النظم (نظرية النظم) عند عبد القاهر الجرجاني:**

يعرف النظم بـ:

أنه تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب بعض، كما يجعل وجوه التعلق ثلاثة:

12

تعلق اسم باسم وتعلق إسم بفعل وتعلق حرف بهما ويشرح وجوه التعلق شرحا وافيا

ويؤكد أن نظم الكلام يقتفي فيه لآثار المعاني وترتيبها حسب ترتيب المعاني في النفس وليس النظم في مجمل الامر عنده إلا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها".

فالنظم او مداره عند الجرجاني هو:

معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه.

ولا معنى للنظم عند الجرجاني إلا توخي معاني النحو فيها بين الكلم.

فلا معنى للنظم غير توخي معاني النحو واحكامه:" فإنك إن عمدت على ألفاظ فجعلت تتبع بعضها بعضا من غير أن تتوخى فيها معاني النحو لم تكن صنعت شيئا تدعي به مؤلفا وتشبه معه بمن عمل نسجا أو صنع على الجملة، ولم يتصور أن تكون قد تخيرت لها المواقع".

ويضيف الجرجاني في تعريفه للنظم أنه:

تركيب الكلمات والتنسيق بينها بحيث يأخذ بعضها ببعض، لذلك يوجب على الاديب أن يدرس النحو إذ به يعرف ما ينشأ عن الكلمات حين تتغير مواضيعها من المعاني المتجددة المختلفة ...فالكلمة المفردة لا قيمة لها عنده قبل دخولها في التركيب ودليل ذلك أنك ترى الكلمة فتروقك في موضع ثم تراها هي بعينها في موضع آخر فتعفها، فالبلاغة عند عبد القاهر ترجع الى اللفظ لا لذاته بمفرده بل باعتبارها فادته المعنى عند التركيب".

وقوام الادب في نظره المعنى واللفظ تابع له وقد يعني النظم قرض الشعر.

**نظرية النظم قبل الجرجاني:**

عرف النظم عند النحاة قبل الجرجاني، حيث ارجع بعض النحاة فكرة النظم الى ارسطو في كتابه "فن الشعر و الخطابة".

أما من تطرق الى نظرية النظم من العرب قبله نجد:" أبو عبيدة معمر بن المثنى" وذلك عند مناقشة مجاز القرآن، ولكن لم يحدد معالمه الدقيقة فقد قام بترشيد الذوق البلاغي معتمدا على فهم اللغة العربية واساليبها وطرق استعمالها.

**نظرية النظم عند الجاحظ:**

يعتبر أول من ذكر لفظة النظم بصريح العبارة بحيث سمي أحد كتبه" نظم القرآن" تعرض فيه لمجاز القرآن وبساطة التعبير إذ فرق بين القرآن ونظم سائر الكلام كما دعا

13

إلى دراسة الادب وفنونه، إلى جانب حديثه عن الكلمة وعدها إحدى مكونات النظم شرط أن تكون فصيحة.

وفي كتابه " البيان والتبيين" يحدثنا عن كيف خالف القرآن بمنع الكلام الموزون والمنثور، وهو المنثور غير المقفى على مخارج الاشعار وكيف صار نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج.

**مفهوم نظرية النظم عند المبرد:**

كان يرى أن البلاغة في حسن النظم وذلك بإحاطة القول أي المعنى وأيضا يجب اختيار الكلام وأجوده في حسن النظم حتى الكلمة مقارنة بأختها.

**قضية النظم في مسألة إعجاز القرآن قبل عبد القاهر الجرجاني:**

كان لقضية الاعجاز أثر في بلورة فكرة النظم.

وإن ما وصلنا من كلام يتصل بإعجاز القرآن يرجع إلى القرن الثالث الهجري بعد ازدهار حركة الترجمة والاتصال بالثقافات الأجنبية، ولا سيما اليونانية فضلا عن ظهور بعض الفرق الكلامية كالمعتزلة إذ يعد الجاحظ من زعمائها ومن الأوائل الذين بحثوا في النظم القرآني ودلالة النظم عنده لا تعني النوع الادبي كالشعر والخطب والرسائل ولا تعني كذلك التأليف أو الضم.

وإنما هي متكونة من المعنيين فالقرآن يتميز عن كلام البشر بخصائص معينة ويحمل الكثير من الاعجاز والتحدي.

يقول الجاحظ عن القرآن:" **إنه تحدي البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه وتأليفه في المواضع الكثيرة والمحافل العظيمة فلم يرم ذلك أحد، ولا تكلفه ولا أتى ببعضه ولا يشبه منه ولا ادعى أنه قد فعل".**

فهي في نظمه وتأليفه ليستا كلمتين مترادفتين وانما هما مختلفتان في الدلالة.

الأولى تعني النوع اما الثانية (التأليف) تعني الضم.

أما **الباقلاني:** فيرى أن كتاب الله معجز بالنظم أيضا لان نظمه خارج عن وجوه النظم المعتاد في كلام العرب، فيقول:" **فأما شأو نظم القرآن فليس له مثال يحتذى عليه ولا إمام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا كما يتفق للشاعر البيت النادر والكلمة الشاردة والمعنى الفذ الغريب والشيء القليل العجيب ".**

**أسس نظرية النظم:**

**ـ** النظم كان شائعا منذ القرن (2هـ)، لكن ذلك لا ينفي الجهود التي بذلها الجرجاني في

14

تحديد ووضع أسسه كما فعل بعض المعاصرين الذين ذهبوا إلى أن الجرجاني لم يبتكر نظرية النظم بل أنه لم يضف إلى مفهوم النظم شيئا جديدا.

فهنا القصد بأن الجرجاني قد أنتفع بجهود السابقين في نظريته أو أنهم بالنسبة له أشعة أضاءت له الطريق فهذا الامر لا شك فيه، فما من نظرية تقوم على الفراغ أو تخلق من العدم.

والجرجاني نفسه يعترف بهذا الامر ولا يدعي أنه أول من تطرق لمفهوم النظم يقول:" **وقد علمت اطباق العلماء عن تعظيم شأن النظم وتفخيم قدره، والتنويه بذكره اجماعهم أن الفضل من عدمه ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له ولو بلغ في غرابة معنا بلغ".**

يرى البعض من النقاد أن الجرجاني قد تأثر بآراء السابقين وأنه لم يضف الى ما جاء به السابقون شيئا، وانما تحددت على يده معاني النظم دون غيره.

والنظم قبل الجرجاني لم يكن مقصودا من عمد ولم يكن مدروسا بطريقة مباشرة بل كان شيء عفوي نابع من ملاحظات العلماء حين يأخذون الشعر والاعجاز في القرآن في هذا النطاق فحسب.

والنظم عند الجرجاني فهو عمل مدروس ومحور يدور حوله كتاب " الدلائل" كله "دلائل الاعجاز".

**أهمية النظم:**

**ـ** النظم ميدان رحب وهو دنيا واسعة من الجمال، يعد من أهم العلوم العربية التي تهتم بكتاب الله العزيز، وذلك من خلال الكشف عن اعجازه واسراره اللغوية ومكوناته البلاغية، حيث يمكننا القول أن بلاغة القرآن تعود الى النظم وبالتالي يصبح النظم الوجه العام او المرآة العاكسة التي تعكس وجوه "البيان والبديع والمعاني".

ـ وهو كذلك منهل عذب يفيض بالحسن والصفاء فهو اطار عام تدخل حيزه علوم البلاغة علم المعاني وعلم البديع وعلم البيان. لو لم ندخل صور البيان في جوهر النظم الذي يتعلق به اعجاز القرآن لجردنا كثيرا من الصور البيانية من دلالتها الخالدة، لان في القرآن ألوان من التشبيهات والاستعارات والكنايات تتضاءل لتختفي أمامها قدرة التعبير عند الانسان المتمرس البليغ.

**اركان نظرية النظم:**

تقوم على عدة اركان هي:

التقديم والتأخير

15

الحذف والفروق

الفصل والوصل

وأما باقي الفصول التي كتبها ما هي الا إضافات على الكتاب السابق وهو "اسرار البلاغة في علم البيان" ومجادلات وتوضيحات وتأكيدات للنظرية احتاج اليها الجرجاني ليؤكد تجاوزه للتصورات القديمة والجرجاني اذا كان قد وضع نظريته ليؤكد على ان ترتيب الكلام في أي ابداع انما يكون بحسب الأهمية وهذا ما اوضحه في التقديم والتأخير فان ترتيب ابوابه على الشكل الذي جاءت عليه في الكتاب هو مهم أيضا وله الأولوية التي يراها لكل ركن.

16